

الشفاعة

بين السلب والإيجاب

الشيخ محمد هادي معرفته - قم

الشفاعة : اسم من الشفع ، وهو ضم احد الشيثين الى الاخر، واكثر استعمالها فيما اذا انضم كامل الى ناقص لغرض استكماله وجبران ما فيه من ضعف ، قال الراغب: والشفاعة الانضمام الى آخر ناصرأ له وسائله عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة الى من هو أدنى، وهي في أعراف الناس : استعانة العاجز بصاحب الكلمة النافذة في قضاء حاجته لدى من يترقبه فيه لدفع شر او جلب خير، وتكون جميلا انسانياً طالما يتذرع اليه بنو الانسان في نجاح ماآربهم . كما تكون ركناً أساسياً من اركان التعاون البشري العام .

ولاشك انها اداة نافذة ، ومعقولة الى حدما ، في داخل المحيط البشري ، أما بالنسبة الى خارج هذا المحيط فقد وقع الجدل حول امكانها ومعقوليتها ومدى تأثيرها في الحياة الدينية ، وقد انكرها البعض وقالوا بعدم امكان توسط شيء او شخص في غفران ذنوب او ترفيع درجات او قضاء حاجات . غير ان الاكثرية الساحقة من المسلمين ولاسيما السلف الصالح منهم على جانب الايجاب .

قال القاضي عياض : « مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعاً

بصريح الآيات وبخبر الصادق (١) (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها النواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين . واجمع السلف الصالح ومن بعدهم من اهل السنة عليها . ومنعت الخوارج (٢) و بعض المعتزلة منها ، وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار ، واحتجوا بقوله تعالى: «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» وامثاله ، وهي فى الكفار . وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها فى زيادة الدرجات ، فباطل ، و الفاظ الاجاديت فى الكتاب وغيره صريحة فى بطلان مذهبهم» (٣) .

وقال الفخر الرازي : «أجمعت الامة على ان لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شفاعة فى الآخرة . قالت المعتزلة : انها للمستحقين للثواب زيادة فى ثوابهم . وقال اصحابنا - يعنى الاشاعرة - : تأثيردا فى اسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب اما بأن يشفع لهم فى عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار ، وان دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة ، واتفقوا انها ليست للكفار» (٤) .

وقال المحقق الطوسي : « الاجماع منعقد على الشفاعة فى كلا جانبي زيادة المنافع واسقاط المضار» (٥) .

وقال العلامة الحلبي : « اتفقت العلماء - من أمة محمد صلى الله عليه وآله - على ثبوت الشفاعة للنبي (ص) وعليه قوله تعالى : عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً» (٦) .

* * *

(١) يقصد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
 (٢) قال رجل لابي عبد الله الصادق - عليه السلام - : ان لنا جاراً من الخوارج ، يقول : ان محمداً يوم القيمة همه نفسه فكيف يشفع ؟ فقال ابو عبد الله - عليه السلام - : ما من أحد من الاولين والآخرين الا وهو يحتاج الى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة ، بحار الانوار ج ٨ ص ٤٢ .

(٣) ينقل النورى عنه فى شرح مسلم ج ٢ ص ٥٨ ، بحار الانوار ج ٨ ص ٦٢ .

(٤) التفسير الكبير ج ٣ ص ٦٣ .

(٥) تجريد الاعتقاد .

(٦) شرح التجريد ص ٢٣٤ ط يمبى .

هذا . . . وقد انكرت المعتزلة شمولها للمذنبين وخصوها بالمؤمنين في ترفيع درجاتهم فحسب (*) . وجاء ابن تيمية - أخيراً - لينكرها رأساً ، آخذاً في تأويل نصوص الكتاب والسنة الصريحة بمشروعيتها ، وحذا حذوه أناس .
قال ابن تيمية : « الشفاعة بمعناها المعروف شرك بالله ومعتقده كافر ، ويجب على المسلمين أن يستيبوه والا فيجب قتله » (٣) .

قال الشيخ محمد عبده : « وما ورد في اثبات الشفاعة يكون من المتشابهات ، وقد قضى السلف فيه بالتفويض والتسليم ، وانها مزية يختص الله بها من يشاء من عباده . لكننا لا نحيط بحقيقتها ، مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى الشفاعة في لسان التخاطب العرفي . أما مذهب الخلف فهو الاخذ في التأويل ، فلنا ان نحمل الشفاعة فيه على أنها دعاء يستجيبه الله تعالى ، والاحاديث السواردة في الشفاعة تدل على هذا ، ففي رواية الصحيحين وغيرهما : ان النبي (ص) يسجد يوم القيامة ويشني على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ فيقال له : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . وليس في الشفاعة بهذا المعنى ان الله سبحانه يرجع عن ارادة كان أرادها لاجل الشافع . وانما هي اظهار كرامة للشافع بتنفيذ الارادة الازلية عقيب دعائه » .
وقال السيد رشيد رضا - تعليقاً على هذا الكلام - : « بمثل هذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ولم يعدوه تأويلاً » (٤) .

وقال محمد فريد وجدي : « الشفاعة في الاصطلاح الديني : سؤال بعض الصالحين من الله التجاوز عن معاقبة بعض المذنبين ، وقد اضرت هذه العقيدة بأكثر الاديان ، وما هي الا تحريف تقصده الكهان ، ليكون لهم شأن عند الناس ، وقد جاء الاسلام فقوم عقائد الامم من هذه الجهة ، فذكر الشفاعة ثم قال :

* سيأتى التمرض لاسباب انكار المعتزلة الشفاعة في غفران الذنوب عند الجواب عن الاعتراض الثالث .

(٣) كشف الارتباب ص ١٦٣ و ٢٣٨ ، نقلا عن القواعد الاربع . حقايق تحريف شدة

ص ٥٩ .

(٤) تفسير المنارج ١ ص ٣٠٧ .

«من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه» . وقال : «وكأين من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى» . فمتى عرف المسلم ان الشافع والمشفع هو الله وان لا أحد يمكنه ان يغني فتيلاً رفع وجهه من الاستشفاع بمثله الى الاستشفاع بربه ، وناهيك بهذا بعداً عن الوثنية وقرباً من السديانة الالهية» (١) .

وقال الطنطاوي : «قد اجمعت الامة الاسلامية انه -صلى الله عليه وآله وسلم- يشفع في أمته ، وهذا ، امر مجمع عليه لافرق بين السنة والمعتزلة والفلاسفة منهم ، ولكنهم اختلفوا في المقصود منها ، وها انا اذكر لك الحقيقة ثم اطبق عليها سائر الاقوال والايات والاحاديث . . .

قال « ومعنى ذلك ان النبي (ص) كان الواسطة في هداية الناس الى سعادة الحياة العليا ومن ثم يفوزون بالدرجات العلى في الآخرة بواسطة اعمال سالحة قاموا بها في هذه الدنيا ، والتي كان السبب فيها هو النبي (ص) حيث أرشدهم اليها . . . فكان شافعاً لامته اي شفعاً بهم في الاهتداء الى اعمال تكون نتيجتها الفوز والنجاح في الآخرة .

«شفاعة الانبياء ليست من قبيل الهبات المالية وانما هي نفحات علمية وأخلاق حكيمة وآداب كريمة ، فمن فقه ما قالوه واتبع مارسموه واستثمر من بذور الشفاعة ما بذروه تمت له الشفاعة . . .

قال «وليس هذا القول بمخالف اهل السنة ولا المعتزلة ، فان خروج العاصي من النار بالشفاعة او ابعاده عنها قبل الدخول ، وكذلك زيادة الحسنات ، كل ذلك جاء من شفاعته واتباعه ، بل كل ثواب فانما هو بسبب ذلك وهكذا كل نجاة ، فانه صلى الله عليه وآله وسلم - لو لم يأت لنا بالشرعية لكنا اقرب الى الحيوان . . .» (٢)

(١) دائرة المعارف ج ٥ ص ٤٠٢ (شفع)

(٢) تفسير الجواهر ج ١ ص ٦٤ - ٧٠

تلك وامثالها تأويلات لنصوص الشفاعة قام بها المتأثرون بأفكار ابن تيمية ،
من كتاب العصر الحديث . وسوف ننظر في قيمة هذه التأويلات .

منهج البحث :

- ونحن اذ نبحث عن الموضوع ينبغي ان نستوفي الكلام في ثلاث مراحل :
- الاولى - في معقولية الشفاعة وامكانها العقلي .
- الثانية - في نصوص شرعية من الكتاب والسنة معتمدة عند المسلمين .
- الثالثة - في دفع الاعتراض الموجه من قبل المنكرين .

* * *

وقبل ان نرد البحث يجب ان نحدد الموضوع تحديداً فاصلاً بين موقفنا الايجاب
والسلب في القضية ، وتوضيح اتجاه البحث والمناقشة :

التعريف بالشفاعة :

« الشفاعة : ابتهاج الشافع التي حضرة الباري تعالى ان يقبل دعاء المستشفع
في مغفرة ذنب أو قضاء حاجة ، حيث وسيلة هذا الأخير ناقصة وعاجزة عن البلوغ
به الى المقصود ، فيقرنها بمقام الشافع الكريم عند الله ، لغرض الاستكمال » .
وينحل هذا التحديد الى البنود التالية :

١ - صلاحية الشفيح الشرعية ، لتكون هذه الصلاحية منحة الهية خوله اياها ،
تكريماً لمقامه العبودي لديه .

ومن ثم تكون معرفة الشفيح توقيفية ، ليس يعرف الا بتعريف الله له واذنه اياه
« مامن شفيح الا من بعد اذنه » (١) . « ولا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمان
عهداً » (٢) .

(١) يونس : ٣ .

(٢) طه : ٩٠ .

فقد سقطت قولة المشركين : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله». «قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون» (١) . «ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان» (٢) .
وهذا هو الفارق بين عقيدة المسلم وعقيدة المشرك فى الشفاعة : ان الاول يتكلم عن مستند شرعي فى الشفاعة وفي معرفة الشفيح . اما الثاني فانه يتحرص بالغيب ، ويفتري على الله الكذب فيدعي شفعا لا يعلمهم الله .

٢ - صلاحية المستشفع - شخصياً - واستعداده الايماني المخلص ، الامر الذي يؤهله للاستفاضة من منهل الفيض العميم ، فلا تشمل الشفاعة كافراً بالله او مشركا في ربوبيته او مبتدعاً فى الدين خارجاً عن حوزة الاسلام الحنيف . «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» (٣) . «لا يشفعون الا لمن ارتضى» (٤) .

٣ - ان يملك وسيلة الى الله صالحة عملاً صالحاً ولكن عاجزة عن البلوغ الى درجة القرب والقبول ، لقصور او تقصير هو نادم عليه فهو يروم اسئمالها باقتران الشفيح الكريم . كتب ابو عبد الله الصادق - عليه السلام - الى أصحابه «اعلموا انه ليس يغني عنكم من الله احد من خلقه شيئاً ، لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا من دون ذلك . فمن سره ان تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب الى الله ان يرضى عنه (٥)» اي بالعمل الصالح .

«يا ايا الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون» (٦) والوسيلة هو العمل الصالح الذي يؤهله للانتفاع بشفاعة الشافعين وقال تعالى : «يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمان ورضى له قولاً» (٧) «وكم

(١) يونس : ١٨ .

(٢) النجم : ٢٣ .

(٣) المدثر : ٤٨ .

(٤) الانبياء : ٢٧ .

(٥) روضة الكافي ص ١١ بحار الانوار ج ٨ ص ٥٣ .

(٦) المائدة : ٣٥ .

(٨) طه : ١٠٩ .

من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى» (١)
اي يرضى عمله .

فيتلخص موضوع الشفاعة في : صلاحية الشافع الشرعية اولا . ثم صلاحية
المستشفع الايمانية ثانياً ، وتقديمه عملاً صالحاً مرضياً عند الله ، وهذا هو وسيلته الى
الله في الانتفاع بشفاعة الشافعين .

* * *

معقولية الشفاعة :

كان الانسان ولا يزال يرى من أعماله الصالحة التي يقدمها الى حضرة الباري
جل شأنه ضحالة وضآلة لا تخوله صلاحية البلوغ الى درجة الصالحين الكاملة
والاستعداد لنيل الفيوض الخاصة المباشرة ، والتي ينعم بها عباد الله المخلصون .
وهذا الشعور بالعجز نوع من الكمال الانساني النبيل ، حيث الاحساس بواقعيته
البشرية الضعيفة ، العاجزة عن مقاومة الهوى والشهوات الارضية الدنية .

روى الشيخ المفيد بسنده الصحيح عن الامام الباقر - عليه السلام - قال : «قال
رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :

قال الله - عز وجل - : لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملون بها لثوابي
فانهم لو اجتهدوا وأتعبوا انفسهم وأنفوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير
بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون من كرامتي والتعيم في جناتي ورفيع
الدرجات العلى في جوارى ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، والى
حسن الظن بي فليطمأنوا ، فان رحمتي عند ذلك تدركهم ، وبمضي ابلغهم رضواني
وألبسهم عقوي ، فاني انا الله الرحمن الرحيم بذلك تسميت» (٢) .

وقلما ينفلت انسان من حبال ابليس وشباكه الخبيثة «بل الانسان على نفسه

(١) النجم : ٢٦ .

(٢) امالي الطوسي ج ١ ص ٢١٥ بحار الانوار ج ٢٠ ص ٣٨٥ .

بصيرة ولو ألقى معاذيره» (١) . سئل الامام الصادق - عليه السلام - : « هل يحتاج المؤمن الى شفاعة محمد - صلى الله عليه وآله - يومئذ ؟ قال : نعم ، ان للمؤمنين خطايا وذنوباً ، وما من احد الا يحتاج الى شفاعة محمد (ص) يومئذ» (٢) .

وهذا الشعور الكريم يجعل الانسان - دائماً - يتحرى الوسائل الى تحقق مطلوبه بنجاح ومن ثم يختار لدعوته ومناجاته مع ربه بقاعاً كريمة ووقائماً شريفة ، ومناسبات طيبة ، ويستهدف من وراء ذلك استكمال جانب نقصه البشري الذاتي ليفوز في مهمته الدعائية، وخير بقاع الارض هي المساجد واشرفها المسجد الحرام ، فتقع شفعاً لما يقوم به العبد من عبادة ودعاء ومناجاة مع ربه الكريم ، وتكون بذلك بالغة درجة الكمال اللاتقة لتقديمها لحضرة الباري جل شأنه .

كما ان الجمعة خير اوقات الايام وكذلك الاعياد الكريمة وبالاسحار هم يستغفرون فان الدعاء فيها أقرب الى الاستجابة من غيرها ، ومعنى ذلك ان الوقت يقع شفعاً للدعاء فيكمله ويخوله من صلاحية اصابة الهدف اكثر .

وهكذا اصحاب النفوس القدسية انبياء الله العظيم هم ذوو جاه عريض عند الله . ويكرمهم الله بلطفه ويكرم أممهم برحمته الواسعة ، « لاجل عين ألف عين تكرم» وهؤلاء اكرم على الله من ان يرد دعاءهم في غفران ذنب او قضاء حاجة «ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» (٣) . « فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » (٤) .

وبعد فاذا كانت قداسة المكان وشفافة الزمان مؤثرتين في استجابة الدعاء وقبول التوبة وقضاء الحاجة ، وغفران الذنوب عند الاستغفار ، فما المانع ان يقرون الداعي دعاءه بذكر نبي الرحمة وأهل بيته الاطهار، ويقدمهم بين يدي حوائجهم فاذا لم تكن

(١) سورة .

(٢) تفسير الميزان ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) سورة النساء : ٦٤ .

(٤) سورة الممتحنة : ١٢ .

نستغرب وقوع المكان والزمان شفعاً مؤثراً في استجابة الدعاء ، فماذا نستغربه من شفاعه نبي كريم . !

وهكذا العقل الفطري لا يستبعد تأثير واسطة الفيض في بلوغ القاصر مهمته المطلوبة ، نظراً لكمال الواسطة وصلاحيته لانعكاس الفيوض منه الى القاصرين ، فان للكاملين اشاعات مفاضة تشمل القاصرين عن بلوغ الاهداف حيث مرادفة الكمال كمال ومصاحبة الجميل جمال ، ولاجل عين ألف عين تكرم .

وقد صور الحكماء الشفاعه بوجه لطيف ، اورده الفخر الرازي في تفسيره . قال : « قالت الفلاسفة في تأويل الشفاعه : ان واجب الوجود تعالى عام الفيض تام الوجود ، وحيث لا يحصل فانما هو لمانع في القابل وعدم استعداده للقبول ، ومن الجائز ان لا يكون الشيء مستعداً لنيل الفيوض بنفسه لكنه صالح لان ينالها بوسيط . » قالوا : ومثال ذلك في المحسوس ، ان الشمس الوهاجة تشع بضياؤها بسخاء واسع ، ولكن لمن واجهها وجهاً لوجه ، وهو شرط لقبول الضوء المباشر اما الواقف تحت ظلال تحجبه عن الضياء بسبب كثافة السقف الحاجز ، فانه مع ذلك صالح للاستضاءة بضوء الشمس لكن غير المباشر وذلك بوسيط - مثل المرآة المجلوة - تعكس عليه أشعتها ، وكلما كان الوسيط أجلى كان الانعكاس أشد وأبين » قالوا : وارواح الانبياء - لشدة صفائها - وسائط تعكس اشعة الفيوض الربانية الى الخلائق في عموم البركات وشمول الخيرات كما كانوا وسائط في ابلاغ الشرائع والاحكام . . . (١) .

* * *

اذن . . فالشفاعة ليست سوى دعاء يدعو به المخلصون وبتهلون الى الله في غفران ذنوب المؤمنين . . وليست سوى استغفار يقوم به اولياء الله الصالحون ويسترحمون ربهم في حط اثقال المذنبين . . وليست سوى ضراعة وخشوع من ذوي الجاه الرفيع عند الله ، ليستعطفوه بشأن عباده التائبين . .

هذه هي الشفاعة التي يعتقدونها المسلمون ، ويعتمدونها كسبب أساسي لطرد اليأس والقنوط عن حياتهم ، اما الذي استعظمه الشيخ محمد عبده من معنى الشفاعة (١) فشىء لم ينطق به احد من العلماء ولم يعتقدوه مسلم على الاطلاق ، فقد تكلف في التفسير بما لاوجه له وسيبدو لك - عندما نعرض الروايات - ان الشفاعة ليست سوى دعاء يقوم به الشفييع بشأن المستشفع فتقع الاجابة عند توفر شروطها .

* * *

نصوص شرعية :

النصوص الشرعية بشأن الشفاعة كثيرة في الكتاب والسنة المتواترة « منها » الايات الواردة في استغفار الانبياء لذويهم وأمهم ، واستغفار الملائكة للمؤمنين ، ولا شك ان الاستغفار في حق الاخرين شفاعة بشأنهم . « ومنها » الايات الواردة في خصوص الشفاعة لغرض تعديل العقيدة بها ، حيث كان المشركون واليهود يعتقدونها بصورة منحرفة فجاءت الايات المذكورة لتصحيحها وتحريرها عن المخرافات والاوهام . ومن ثم فهي تثبتها لكن عرضاً واستلزماً للكلام . « ومنها » الاحاديث الشريفة ذات الدلالة الصريحة غير القابلة للتأويل وهي كثيرة جداً نقتصر منها على نماذج . واليك التفصيل : -

(١) قال : الشفاعة المعروفة عند الناس هي ان يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل او ترك كان أراد غيره - حكم به ام لا- فلا تتحقق الشفاعة الا بترك الارادة وفسخها لاجل الشفييع . فأما الحاكم العادل فانه لا يقبل الشفاعة الا اذا تغير علمه بما كان اراده أو حكم به ، كأن كان اخطأ ، ثم عرف الصواب ورأى المصلحة أو المدل في خلاف ما كان يريد أو حكم به وأما الحاكم المستبد الظالم فانه يقبل شفاعة المقربين عنده في الشىء ، وهو عالم بأنه ظلم وان العدل في خلافه ، ولكنه يفضل مصلحة ارتباطه بالشافع المقرب منه على العدالة . وكل من النوعين محال على الله تعالى ، لان ارادته تعالى على حسب علمه ، وعلمه أزلي لا يتغير ، فما ورد في اثبات الشفاعة يكون على هذا من المتشابهات ، وفيه يقضى مذهب السلف بالتفويض والتسليم من غير أن يحيطوا بحقيقتها . مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى الشفاعة في لسان التخاطب العرفي . . . ، المنارج ١ ص ٣٠٧ .

آيات كريمة :

قال تعالى : « وأستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » (١) . « فاعف عنهم وأستغفر لهم » (٢) . « فأذن لمن شئت منهم وأستغفر لهم الله » (٣) . « فبايعهن واستغفر لهن الله » (٤) .

« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله وأستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » (٥) .

فهل استغفار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - للمؤمنين والمؤمنات غير شفاعته بحقهم في غفران ذنوبهم . ؟ !

وقال اخوة يوسف : « يا أبانا أستغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ، قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم » (٦) فهل طلب اخوة يوسف من أبيهم أمراً غير مشروع ، وهل وعدهم ابوهم بأمر غير مشروع . ؟ !

وقال نوح : « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات » (٧) .

وقال ابراهيم : « رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (٨) .

وقال موسى : « رب اغفر لي ولاخي وأدخلنا فسي رحمتك وأنت أرحم

الراحمين » (٩) .

(١) سورة محمد : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٣) سورة النور : ٦٢ .

(٤) سورة الممتحنة : ١٢ .

(٥) سورة النساء : ٦٤ .

(٦) سورة يوسف : ٩٨ .

(٧) سورة نوح : ٢٨ .

(٨) سورة ابراهيم : ٤١ .

(٩) سورة الاعراف : ١٥١ .

هؤلاء اولوا العزم من الرسل . . هل طلبوا منه تعالى أمراً غير مشروع . ؟ !
 وهل كان استغفارهم لذويهم وللمؤمنين والمؤمنات تدخلاً في شؤون الباري .
 تعالى الخاصة - كما زعم اتباع المدرسة الوهابية . ؟ !
 «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
 للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً . فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
 وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم
 وازواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات
 يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» (١) .

« والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض » (٢) .
 ولنا ان نقول انطلاقاً من نظرية ابن تيمية وابن عبد الوهاب والشيخ محمد عبده:
 ما للملائكة والتدخل في شؤون الله الخاصة . !!
 نعم « ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين » (٣) لان الايمان هو
 الشرط الاول لقبول الشفاعة . وقال تعالى بشأن المنافقين : « سواء عليهم استغفرت
 لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين » (٤) .

* * *

قال الشيخ محمد عبده : « ليس في القرآن نص قطعي في وقوع الشفاعة
 ولكن ورد الحديث باثباتها فما معناها . ؟ » (٥) .
 أقول : اذا كانت الشفاعة هي الوساطة في غفران ذنوب المؤمنين ، فهل يختلف
 المعنى اذا كان التعبير بلفظ الاستغفار ؟ وهل هناك فرق بين « تشفع في مغفرة ذنب »

(١) سورة غافر : ٩ .

(٢) سورة الشورى : ٥ .

(٣) سورة التوبة : ١١٣ .

(٤) سورة المنافقون : ٦ .

(٥) تفسير المنارج ١ ص ٣٠٧ .

أو « استغفر له »؟ وكلاهما بمعنى « طلب المغفرة له » !
 ولعل « الشيخ » حسب البحث لغوياً فكان الفارق لديه بين اللفظين كبيراً ،
 نظراً الى مادة الاشتقاق في علم التصريف ! .

ومع ذلك فقد جاءت الشفاعة في القرآن بلفظها مما يدل على الوقوع دلالة
 قطعية لكنها دلالة في عرض الكلام بعد ان كان المقصود هو تعديل مفهوم الشفاعة التي
 كان اليهود والمشركون معتبرين بها :

قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (١) « ولا يشفعون الا لمن
 ارتضى » (٢) « لا يملكون الشفاعة الا من أتخذ عند الرحمن عهداً » (٣) « ولا يملك
 الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون » (٤) . « وكم من
 ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٥) .
 « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا » (٦) .

هذه الايات صريحة في وقوع الشفاعة مع توفر شروطها . انها نفى واستثناء
 فنفي لمن زعم الاعتباط في الشفاعة، واثبات لها تحت شروط، فهل هناك نص أصرح
 من هذه التعابير ذات الحصر بالنفي والاثبات القطعيين . ؟

* * *

وقال تعالى : « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » (٧) اجمع المفسرون على
 ان هذا وعد جميل واکرام بمقام شفاعة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في أمته .

(١) سورة البقرة : ٢٥٤ .

(٢) سورة الانبياء : ٢٨ .

(٣) سورة مريم : ٨٧ .

(٤) سورة الزخرف : ٨٦ .

(٥) سورة النجم : ٢٦ .

(٦) طه : ١٠٩ .

(٧) الاسراء : ٧٩ .

قال الطبرسي : وقد اجمع المفسرون على ان المقام المحمود - الذي يحمده فيه الاولون والآخرين - هو مقام الشفاعة ، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس ، وهو المقام الذي يعطي فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجمع تحته الانبياء والملائكة فيكون - صلى الله عليه وآله وسلم - أول شافع وأول مشفع (١) .

وأخرج السيوطي بعدة أسناد متواترة عن جل الصحابة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - سأله عن المقام المحمود ؟ فقال : هو الشفاعة . وطرق الاسناد صحيحة فضلا عن تواترها (٢) وضع يدك على أي تفسير شئت قديماً وحديثاً يدل ذلك على هذا الاتفاق . وستاتي الاشارة الى بعض تلكم الاحاديث .



وقال تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (٣) .

قال الطبرسي : روى الحارث بن شريح عن محمد بن الحنفية ، قال : أرجى آية في كتاب الله « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وهي - والله - الشفاعة ، ليعطينها في أهل لا اله الا الله حتى يقول : رضيت (٤) وذكر روايات اخر بهذا الصدد عن الائمة عليهم السلام فرأجع .

وروى السيوطي عن ابن شريح قال : قلت لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين : رأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي ؟ قال : أي الله ، حدثني عمي محمد بن الحنفية عن علي ان رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال : اشفع لامتي حتى يناديني ربي أرضيت يا محمد فأقول : نعم يا رب رضيت . وأخرج

(١) مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣٥ .

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) سورة الضحى : ٥ .

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٠٥ والرضا هنا بمعنى انشراح الصدر بعد ما كان صدره

- صلى الله عليه وآله - يضيّق بعذاب أمته .

ابن أبي حاتم عن الحسن أنه سئل عن هذه الآية فقال : هي الشفاعة . وغيرها كثير (١) .

* * *

تلك نصوص الكتاب العزيز صريحة في وقوع الشفاعة في الآخرة ، واليك الان نبذة مختصرة من نصوص السنة المتواترة بهذا الصدد .

للمبحث صلة



مركز تحقيقات كميوتور علوم إسلامي

ولايتنا

والله ما نتقرب الى الله تبارك وتعالى الا بالطاعة ، وما
معنا براءة من النار . من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله
عاصياً فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع .
الامام الباقر عليه السلام